الإنسان في القرآن الكريم
بمنظور رسائل النور للداعية سعيد النُورْسي

أ0د0 وهبة الزحيليΨ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى صفوة عباده وسله وأوليائه وأئمة العلم والهدى إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا بحث تحليلي عن (الإنسان في القرآن الكريم بمنظور رسائل النور) لمؤلفها الداعية والعلامة المصلح بديع الزمان النُورْسي، يتبين فيه أن الإنسان وسيلة وغاية، ونجاح الوسيلة يتحقق بالإعداد الإلهي السديد للإنسان، وتسليحه بإمكانات وطاقات عجيبة وغريبة، مكّنة من الإفادة من مخزونات الكون، ووجّهة نحو الوصول إلى الغاية القريبة في الدنيا: وهي إعمار الكون وتقديمه، وتجميله من خلال إعمال الفكر والعقل البشري، ودفع عجلة البناء بعزيمة قعساء وهمة علياء، لا تعرف التوقف أو الفتور والكلل.

ثم التوصل إلى الغاية البعيدة في الآخرة وهي الحياة الدائمة في عالم الخلود، وتحقيق حلم السعادة عند الأسوياء، الذين صحت عقيدتهم أو إيمانهم، وعملوا صالح الأعمال التي تبوئّهم هذه المنزلة الرفيعة.

ولقد وجدت من خلال قراءتي لرسائل النور للداعية الكبير سعيد النُورْسي[1] تصوراً شاملاً لحقيقة الإنسان في القرآن موضع العناية الإلهية، وصبغة الله تعالى الحكيمة، بما يشمل تكوين الإنسان، وبناء عقيدته، وتوظيفه الفطري لعبادة الله سبحانه بالتكليف وتحمل أمانته، وتقرير الحرية والاختيار له ضمن إطار المشيئة الإلهية الشاملة.

Ψ رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في كلية الشريعة بجامعة دمشق. له مؤلفات عدة وفي مقدمتها : الفقه الإسلامي وأدلته والتفسير المنير

خطة البحث:

- تكوين الإنسان.
- كونه غرسة الإيمان.
- مظاهر صبغة الله فيه.
- تكريمه وتسخير الكون له.
- تكليفه وإعداده المادي والمعنوي.
- توجيهه لتحقيق الهدف من إيجاده أو إعداده للحياة الأبدية.
- مخاطبة جميع الناس.
- هل حقق الإنسان رسالته في الحياة؟.

➢ **تكوين الإنسان:**

الداعية المصلح النُوْرْسي شديد الإخلاص لربه ولدينه، يتفاعل مع الناس والأحداث والوقائع، وأحوال الأمة، فيسره سرورهم واستقامتهم وعزمهم، ويؤلمه قلقهم واضطرابهم وانحرافهم، لذا عني بالإنسان وقضيته وحاضره ومستقبله عناية كبرى، وتأمل تأملاً عميقاً بحقيقة الإنسان من خلال ثقافته القرآنية ومعرفته بشرائع دينه وآدابه.

وتحدث عن الإنسان في رسائل النور أو الشعاعات في موضوعات مختلفة. فآلمه ما آلت إليه الثقافة الغربية وريثة الحضارة الرومانية المادية، ولمس آفاقها ونقائصها ومقتل الداء فيها، بقيامها على النزعة المادية الطاغية، والفردية القاتلة، والتصور بأن الإنسان مجرد آلة أو مادة، لا يهم إلا إرواء مطالبه المادية وشهواته الذاتية، وأهوائه المسيطرة، مع قطع الصلة بالروحانيات والمعنويات والنزعة الدينية الفطرية التي هي كائنة بالفطرة في كل نفس إنسانية. ولم تقتصر مفاهيم تلك الثقافة على أهلها، وإنما انتشرت في العالم الإسلامي وغيره بسبب قوة الغرب، وتراكض الضعفاء والمنهزمين لتقليدها في كل ما هبَّ ودب. وتسللت هذه النزعة المادية تدريجياً إلى بلاد الشرق الإسلامي، فأصبح بعض المسلمين مشغولين فقط بإرواء رغائبهم المادية.

لقد أدرك النُوْرْسي بثاقب نظره تكامل الحقيقة الإنسانية الجامعة بين الاعتبارات المادية والمعنوية، وبين متطلبات الجسد والروح، ففي قرارة كل إنسان ظمأ إلى الدين، وإشباع عواطفه ومشاعره، وحاجته إلى الذات الإلهية وإحساسه بالضعف أمام الحق جل جلاله.

وهذه الحقيقة القرآنية لها ارتباط وثيق بالإيمان وأصوله، وأبعاده وآفاقه، بل هي جسر لبناء عالم الدنيا والآخرة، ومعبر للربط المحكم بين آيات الكون ودلالتها العقدية في غرس شجرة الإيمان في النفس البشرية، وتحقيق المطامح الذاتية والاجتماعية، القائمة على الطبيعة الإنسانية الجسدية والروحية، والمتفاعلة على الدوام مع استعدادات الإنسان الفطرية وسجاياه السامية، ومشاعر المروءة والمحبة والأخوة الإنسانية لديه.

وقيمة الإنسان الفعلية تبدو في هذا التكامل الجسدي (أو المادي) والروحاني (أو المعنوية) بل إن إنسانيته لا تبرز ولا تسمو إلا بالروح، لا بالجسد وحده. ولا يتميز الإنسان إلا بمعانيه وقيمه. ودينُه وهو الإسلام منبع الفضائل كلها، ومجمع المحاسن برمتها، ومن أخصها الرقة أو الرحمة، والشفقة والغيرة، والعقل والوعي[2]. وقال أيضاً عن كمال الإنسان ورقيه: (وما دام كمال الخالق الذي أوجد الكون في الكمال هو ثابت ومحقق، وما دام كمال الإنسان الذي هو أفضل ثمرة للكون، وخليفة الله في الأرض، وأكرم مصنوع وأحب مخلوق للخالق سبحانه وتعالى، حقيقة ثابتة أيضاً[3]).

إن تكوين الإنسان المادي والمعنوي له دلالته في تحقيق رسالة الإنسان في الحياة، وفي بناء العقيدة، وفي إدراك متطلبات المستقبل الأخروي. وكل بُعْد عن أصالة هذا التكوين مرض عضال، وخطر على الإنسان نفسه، ولا يهدأ الإنسان وتطمئن نفسه ويشعر بوجوده الحقيقي الآمن إلا في مظلة العقيدة السوية الجامعة بين معاني الإحساس بالحاضر، والتطلع للمستقبل الهانئ السعيد، بل إن الممارسة الفعلية والتفاعل مع العقيدة هو محور المصداقية، وأساس الثقة والارتياح لجدوى الحياة وغاية الإنسان وتحقيق حلمه في الخلود الأبدي، لأن طعم الحياة الدنيا موقوت وقليل، ومذاق الآخرة خالد وغير محدود، قال الله تعالى: {**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**} [الأعلى:16 – 17]

➢ كون الإنسان غرسة الإيمان:

الإنسان في تقدير العالم الرباني ولا سيما الإمام النُورْسي رحمه الله، بما توافر لديه من أعجوبة الخَلْق والإحكام، والاكتمال والانسجام، والحواس والمشاعر، والعقل والإدراك، يدل دلالة قاطعة بهذا التكوين البديع والتعقيد والتركيب العجيب، على وجود الإله الخالق القادر، العزيز المهيمن، الصانع المبدع، فهو غرسة الإيمان القوية الدالة على الله تعالى. وهذا ما عبر عنه النُورْسي في مناسبات كثيرة من رسائله، فقال: زبدة الكلام:

مثلما تتوجه الثمرة إلى مالك شجرتها من حيث كونها مفيدة، وترنو إلى جميع أجهزة تلك الشجرة وأغصانها وماهيتها من حيث نواها، وتنظر إلى جميع ثمار تلك الشجرة من حيث سكّتها المضروبة على وجهها والموجودة في مثيلاتها، فتقول جميعاً: (نحن على نمط

واحد، صدرنا من يد واحدة، ونحن ملك لمالك واحد، فالذي خلق واحدة منا هو خالق جميعنا بلا شك).

كذلك الأمر في الكائن الحي الذي هو في نهايات دائرة الكثرة، ولاسيما الإنسان، وبخاصة من حيث العلامات الفارقة الموجودة على وجهه، ومن حيث ما في قلبه من فهرس، ومن حيث ما في ماهيته من نتائج، تتوجه كلها إلى الذي يمسك السموات والأرض بربوبيته الجليلة، وتشهد على وحدانيته جلّ وعلا[4].

وقال النُورْسي في موطن آخر من رسائله:

نعم، فما من نوع من أنواع الصخور التي في الجبال، و لا قسم من أقسام المواد التي هي علاجات لمختلف الأمراض والعاهات، ولا جنس من أجناس المعادن المتنوعة جداً، والتي تلزم الأحياء ولاسيما الإنسان، ولا صنف من أصناف النباتات المزيِّنة بأزهارها الجبال، وبأثمارها القفار..

إلا وتشهد بداهة على وجوب وجود صانع ذي قدرة غير متناهية، وحكمة غير متناهية، ورحمة غير متناهية، وكرم غير متناه؛ بما فيها من الحِكَم و الانتظام وحُسْن الخلقة والفوائد، مما لا يمكن نسبتها إلى المصادفة[5]..

وفي معنى هذه الكلمة المشرقة قال أيضاً معبراً عن خطاب النباتات لله عز وجل بلسان الحال:كما أن النباتات والأشجار تعرفك-أي يا الله- وتعلم صفاتك القدسية وأسماءك الحسنى، فليس في الأحياء المالكة للروح كالإنسان والحيوانات من فرد لا يشهد على وجوب وُجودك، وعلى تحقق صفاتك، بأعضاء جسمه الداخلية منها والخارجية..لأن هذه الصنعة الدقيقة ببصيرة، والحكمة اللطيفة بشعور، والموازنة التامة بتدبير، لا يمكن أن تتدخل فيها القوة العمياء، ولا الطبيعة الصماء، ولا المصادفة العشواء، فلا يمكن أن تكون هذه الأمور من أعمالها[6]. وهذا ما عبر عنه الأقدمون: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. ويمكن تلخيص هذه الكلمات وأمثالها بأن الإنسان وغيره من المخلوقات دليل على وجود الخالق، وليس هناك أي قوة في العالم تخلق شيئاً كخلق الله، وكل ذلك مستمد معناه من القرآن العظيم، قال الله تعالى: {**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**}[النحل:17] وقال سبحانه:{ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ**}[الأعراف:54] {**هَذَا خَلْقُ الله فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**} [لقمان:11] {**صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**} [البقرة: 138]

أي إن دليل الخلق والإيجاد: هو الدليل الوحيد القاطع الذي أورده القرآن لإثبات وجود الخالق. ويتحدى الله تعالى بالخلق أي موجود آخر يقدر على مثل خلقه، فقال

سبحانه: { **يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**} [الحج:73].

➢ **مظاهر صبغة الله في الإنسان:**

الإنسان منحة الخالق، وهبة الله وعطاؤه، ومستودع أسراره، وفيه شيء من صفات الله تعالى، وإن كانت محدودة مؤقتة، و أما صفات الله فهي غير محدودة ولا متناهية، وسرمدية دائمة.

ومن هذه الصفات: الحياة، والإرادة، والعلم، والقدرة، والتدبير، والسمع والبصر، والجمال، وغيرها من المعاني؛ لأن الإنسان وجد من روح الله وكلمته التكوينية وأمره المعبر عنه بقوله سبحانه: {**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون**} [يس:82].

واقتضت صبغة الله في الإنسان توافر معانٍ وخواص كثيرة فيه، لاحظها النُوْرْسي رحمه الله وهي ما يأتي:

أ. **إنه مظهر لتجليات أسماء الله الحسنى فيه:** قال النُوْرْسي في رسائل النور: (وكذا في الإنسان نقوش الأسماء الحسنى وتجلياتها، فهو بهذه النقوش و الجلوات يشهد على تلك المعاني المقدسة)[7] وقال في موضع آخر يوضح بقاء هذه التجليات في عالم الآخرة:

(ثم إن الأسماء الحسنى المتجلية على الإنسان تشير إلى أن الذي هو مرآة عاكسة لتجليات تلك الأسماء في هذه الحياة القصيرة الفانية، سيحظى بتجلياتها الأبدية في عالم البقاء)[8]. وكذلك أسماء الله العديدة ذات دلالات عظيمة، فهو سبحانه الجليل والجميل والقدير والمهيمن والرحيم واللطيف.. الخ.

ب. قوة ذاكرة الإنسان وحافظته:

الذاكرة الإنسانية عجيبة، تستكن فيها ذكريات الماضي، وتاريخ الأمم والشعوب، وأحداث الحياة والبشرية، ودقائق العلوم وآفاقها، وغير ذلك من أنواع اللطائف والمعارف والإشارات والشعاعات، فلا تنساها وتستحضرها بما يسمى في علم النفس (تداعي الأفكار) وكأن تلك المعلومات المختزلة تتفجر في الذاكرة الحافظة في أدق المناسبات. قال النُوْرْسي: (ثم إننا نرى أن وظائف المخلوقات تُنْسَج على منوال الحكمة، وتُكال بميزان العدل، وهما من الدقة والحساسية لا يتصور الإنسان أفضل منهما.. فترى الحكمة الأزلية قد وهبت للإنسان قوة حافظة –كحبة الخردل حجماً– وكتبت فيها تفاصيل حياته وما يمسه من أحداث لا تعد، وكأنها مكتبة وثائقية صغيرة جداً، ووضعتها

في زاوية من دماغه، لتذكّره دوماً بيوم الحساب، يوم تنشر ما فيها من صحائف الأعمال) وقال أيضاً: (ثم إننا نرى (حفيظية) مهيبة محيطة بادية للعيان، تحكم على كل شيء حي، وتهيمن على كل حادث، تحفظ صوره الكثيرة، تسجل أعمال وظيفته الفطرية، تدوّن تسبيحاته التي يؤديها – بلسان الحال– تجاه الأسماء الحسنى.. تدوّنها في لوحات مثالية، في بُذيراته ونويّاته، في قوة الحافظة، وهي نماذج مصغرة للوح المحفوظ، ولاسيما في حافظة الإنسان التي هي مكتبة عظمى مصغرة جداً موضوعة في دماغه)[9].

وأضاف في موضع آخر: "فمثلاً، إن خلق القوة الحافظة والخيالية والمفكرة وأمثالها من المكائن العجيبة، في موضع صغير في دماغ الإنسان، لا يتجاوز حجم جوزة واحدة، وجعل القوة الحافظة بمثابة مكتبة ضخمة، يبين انه سبحانه وتعالى يظهر نفسه بتجليات العلم الأزلي بياناً واضحاً كالشمس في رائعة النهار)[10].

وهذا كله من صفات الله سبحانه، فقال: { **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** } [مريم:64]

ج. كون الإنسان مظهر الجمال الإلهي:

الإنسان وجميع ما في الكون يعبر عن جلال وجمال الله الصانع المبدع، ويعرف به وبموازينه الدقيقة جداً، ولا سيما في إبداع خلق السموات والأرض، ومنها جمال النباتات والأزهار، قال النُوْرْسي (وترى العدالة المطلقة تضع كل عضو من الكائن الحي في موضعه اللائق به، وتنسقه بموازين دقيقة حساسة، ابتداء من مكروب صغير إلى كركدن ضخم، ومن نَحْل ضعيف إلى نسر مهيب، ومن زهرة لطيفة إلى ربيع زاه بملايين من الأزهار.. وتراها تمنح كل عضو تناسقاً لا عبث فيه، وموازنة لا نقص فيها، وانتظاماً لا ترى فيه إلا الإبداع، كل ذلك ضمن جمال زاهر وحسن باهر، حتى تغدو المخلوقات نماذج مجسمة للإبداع والإتقان والجمال)[11].

وقال في مكان آخر من رسائله: (نعم، إن هذا الكون مرآة تعكس الجمال السرمدي والحسن غير المحدود، بل من تجلياته سبحانه، وما في الكون من جمال وحسن آت من ذلك الحسن السرمدي، ويتجمل بالانتساب إليه فيرقى ويعلو.. إذ لولا ذلك الانتساب، لتحول الكون إلى مأتم موحش وأخلاط ودمار وفوضى ضارب أطنابه)[12].

وهذا ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إن الله جميل يحب الجمال) [13].

د. الإنسان ثمرة التوحيد:

الله واحد لا شريك له في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فهو المتفرد بالألوهية والربوبية، ولا تشابه بينه وبين المخلوقات الحادثة: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } [الشورى:11]

وينعكس ذلك على الإنسان في ذاته وسجاياه وخصائصه، قال النُوْرْسي في رسائله، علماً بأنني لم أجد عند جميع المتكلمين في العقيدة مثل كلامه في ذلك: (نعم، إن الإنسان بسرّ التوحيد، صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أثمن ثمرات الكون، وألطف المخلوقات وأكملها، وأسعد ذوي الحياة، ومخاطَب رب العالمين، وأهل ليكون خليله ومحبوبه.

حتى إن جميع المزايا الإنسانية، وجميع مقاصد الإنسان العليا مرتبطة بالتوحيد، وتتحقق بسر التوحيد، فلولا التوحيد لأصبح الإنسان أشقى المخلوقات، وأدنى الموجودات، وأضعف الحيوانات، وأشد ذوي المشاعر حزناً وأكثرهم عذاباً وألماً...)[14] الخ.

ثم ضرب النُوْرْسي أمثلة لذلك من العقل، والشفقة والحنان، والمحبة وجميع مطالبه الدقيقة ومقاصده الكلية التي لا تتحقق بغير سر التوحيد:

وهذا المعنى مستمد من قول الله تعالى في بيان تحقيق مقاصد الإنسان بسبب التوحيد: { **ضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلاً فيه شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** }[الزمر:29] هذا مثل للمشرك والموحد، فمن كان مشتركاً يتنازعه الشركاء، ومن كان واحداً لا نزاع فيه أو معه، والله واحد لا نزاع بين عباده المؤمنين به، ويرعاهم بفضله، على عكس الشيء المشترك، يثور بين الشركاء فيه.

هـ ـ حب الإنسان للبقاء:

الإنسان بطبعه أو فطرته يحب الحياة والبقاء في الدنيا، ويكره الموت والزوال عن عالم الدنيا، لما فيها من إغراءات ولذائذ وشهوات، ولتخوفه من مخاطر الفناء والحساب، وجهله بما عند الله تعالى من ألطاف المكارم والعطايا مالا يوازيه شيء في الدنيا، وكذلك يحب الإنسان الخلود والبقاء في الآخرة.

قال النُوْرْسي رحمه الله في رسائله: (فمثلاً، في الإنسان رغبة ملحة شديدة للبقاء، فلا يحقق له هذه الرغبة إلا من يتصرف في الكون كله بسهولة مطلقة، يفتح باب الآخرة بعد أن يسد باب دار الدنيا، كفتح باب منزل وغلق آخر.ففي الإنسان ألوف من الرغبات الإيجابية والسلبية، أمثال هذه الرغبة، رغبة البقاء، تلك الرغبات ممتدة إلى جهة الأبد والخلود ومنتشرة في أقطار العالم كله).[15]

وهذا لأن الله تعالى هو الصانع الفاطر الباقي، فلا حزن على زوال المصنوع لبقاء مدار المحبة في صانعه كما قال النُوْرْسي[16]، قال الله سبحانه: {**الله لا إله إلا هو الحي**

القيوم..} [البقــرة:256] وقال: {**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّــكَ ذُو الْجَــلالِ وَالإِكْرَامِ**}[الرحمن:26 – 27].

وقال النُوْرْسي أيضاً عن الإنسان: (وهو أشد شوقاً إلى البقاء، وأكثــر حاجــة إلى الخلود، بل هو الأجدر به.. وهو الذي يتوسل لأجل البقاء والخلود بأدعية غير محدودة، فلو أعطي له ما في الدنيا من متع، لما شفت غليله للخلود.. وهو الذي يحب الذي أنعم عليه حباً لحد العبادة، ويحببه للآخرين، وهو المحبوب أيضاً..)[17]. (وكما أنه يحب البقــاء في الدنيا الفانية، فهو يتوق إلى بقائه في الدار الباقية)[18].

ومسايرة لحب الإنسان في البقاء والخلود الأخروي، دعا جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الحياة الباقية والسعادة الأبدية، وبشروا البشرية بها، وأثبتوا صــدق دعواهم بما لا يحدد من المعجزات والدلائل القاطعة. قال النُوْرْسي: (فهل من الممكن لهذا الخالق الجميل، الصانع الجليل، الله ذي الكمال، ألا يجعل دار ثواب وجزاء؟ وألاّ يقــيم الحشر والنشر لنوع الإنسان الذي يقابل بالشعور والعقل في هذه الدنيا الفانيــة جميــع مقاصد ذلك الخالق الكريم، والذي يحب ذلك الخالق، ويحببه بجميع استعداداته، والــذي يعرفه ويعرّفه، ويتوسل إليه بأدعية لا حــد لهــا لبلــوغ الســعادة الأبديــة والبقــاء الأخروي..)[19].

و- سجايا الإنسان من خصائص صفات الله:

الإنسان مدين بطبائعه وسجاياه الحميدة وخصاله الفريدة، وتحقيق حاجاته لله وحده الموحد الكامل في ذاته وصفاته، لأنه صاحب الجمال الإلهي، والكمال الرباني اللــذين يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، فالإنسان إذا أحسن فعل شيء وإتقانه، فلأن الله هو المتقن، وإذا أعطي شيئاً فلأن الله تعالى هو المعطي وهو واسع السخاء والجود، وإذا صبر فبتصبير الله، وإذا رضي واطمأن فبإرضــاء الله: {**أَلا بِــذِكْرِ الله تَطْمَــئِنُّ الْقُلُــوبُ**} [الرعد:28] وإذا منع شيئاً عمن لا يستحق فلأن الله هو المانع، وهكذا جميــع أسمــاء الله الحسنى تنعكس آثارها على الإنسان في حالته المعتدلة ومزاجه الصحيح قال النُوْرْســي رحمه الله: (إن مقام الإنسان الراقي وتفوقه على سائر الأحياء وامتيازه عليها، إنما هــو لسجاياه السامية، ولاستعداداته الفطرية الجامعة، ولعبوديته الكليــة، ولســعة دوائــر وجوده.. هذا الإنسان يكسب سجايا المروءة والمحبة والأخوة والإنسانية علــى أســاس حاضره الضيق، وتتحدد عنده على وفق مقاييسه وموازينه المحدودة..)[20]

ز– تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات:

ميّز الله تعالى الإنسان وفضله على أكثر بقية المخلوقات الكونية، الحية والجامدة، كما جاء في قوله تعالى: {**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**} [الإسراء:70].

وقد أوضح النُوْرْسي رحمه الله هذه الظاهرة، فقال أكثر من موضع من رسائله: (كذلك الأمر في الكائن الحي الذي هو في نهايات دائرة الكثرة، ولا سيما الإنسان، وبخاصة من حيث العلامات الفارقة الموجودة على وجهه ومن حيث ما في قلبه من فهرس، ومن حيث ما في ماهيته من نتائج، تتوجه كلها إلى الذي يمسك السموات والأرض بربوبيته الجليلة، وتشهد على وحدانيته جل وعلا)[21].

وفي مناسبة أخرى قال النُوْرْسي: (وعلى وجه الإنسان تشاهد علامة وحدانية يبيّنها وجود العلامات الفارقة في وجه كل إنسان، بحيث تميزّه عن جميع الوجوه الأخرى في الأرض كافة)[22].

ح – الإنسان عالم مصغر عن الكون:

يرى النُوْرْسي أن الإنسان نموذج مصغر لخريطة الكون، فهو كون مصغر، وكل إنسان عالم أصغر، لما اشتمل عليه من تركيب دقيق وعظيم وشامل، فهو بذرة معنوية لشجرة الكون، ومرآة رقيقة لأكثر الأسماء الإلهية، فقال: والمؤمن لو نظر إلى الكائنات، وأبصرها ببصر الإيمان يجدها على صورة إنسان كبير، متسربل بسبعين ألف حلّة قشيبة مخيطة بالرحمات والخيرات والحكم، بعضها فوق بعض، كأنها حورية من الجنة، لبست سبعين حلّة من حللها، ويجدها باسمة دوماً بالرحمة ضاحكة مستبشرة، ويشاهد نوع الإنسان الذي فيه كوناً مصغراً، وكل إنسان عالماً أصغر. وأضاف قائلاً:

إن الذرة والجزء والجزئي والنواة والإنسان ليست بأقل صنعة وجزالة من النجم، والكل، والكلي، والشجر، والعالم. الإنسان الذي هو كون صغير ليس بأقل إبداعاً من الكون العظيم، من حيث إنه في أحسن تقويم، ويملك أجهزة خارقة جامعة مهيأة للقيام بألوف الوظائف العجيبة.

والله الذي جعل الإنسان أشبه ببذرة معنوية للعالم، وثمرة جامعة له، ومظهر لجميع أسمائه الإلهية، ومرآة لها، ومرتبط بالكائنات كلها وخليفة للأرض[23].

ط – الإنسان عاجز ضعيف فقير محتاج لربه:

الإنسان ضعيف أمام قدرة الله المطلقة غير المحدودة، فيحس بأعماق نفسه أنه محتاج إلى ربه، فقير لإمدادات خالقه، فلا يستغني عنه لحظة واحدة، في أي حركة وسكنة، أو

في صحة وعافية، أو في غنى وفقر أو في رزق وعدم، أو في منصب وجاه وذل وانكسار أو في غير ذلك من الأحوال، بسبب الحاجة إلى القوة والمدد والتوفيق الإلهي، قال الله تعالى: { **يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإنسَانُ ضَعِيفًا** } [النساء: 28]. وهذا ما عبّر عنه النُوْرْسي رحمه الله في مناسبات كثيرة، فقال في رسائله: (وكذا الإنسان بضعغه وعجزه وفقره وجهله يؤدي وظيفة المرآة - بشكل آخر- إذ يشهد بها على صفات من يرحم ضعفه وفقره، ومن يمد عجزه، أي يشهد على قدرته جل وعلا، وعلى علمه وعلى إرادته، وهكذا على سائر صفاته الجليلة)[24] وقال أيضاً: (يجد الإنسان بانتسابه إلى السلطان ذي الجلال - بالإيمان والعبودية - مستنداً قوياً، ومرتكزاً عظيماً يحتمي إليه في دفع أعدائه كافة، ويجد فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته وتلبيته رغباته وآماله كافة)[25].

ويقول أيضاً عن الإنسان: (وهو الأكثر فاقة وعجزاً من بين أحياء الكون: وهو الكائن الحي العاجز الفقير بلا حدود، مع أن له أعداء ومؤذيات بلا عد، ومقاصد وآلاماً بلا حد..)[26].

ي - محبة الإنسان للملائكة:

المؤمن لا يكتمل إيمانه إلا بالإيمان بالملائكة الكرام، وعليه أن يحبهم، لأنهم رسل الله، المفوضون بأمره، بشؤون العباد، ومنهم الأربعة العظام: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

فجبرائيل أمين الوحي الإلهي الذي هو نظام الحق لحياة الإنسان، وميكائيل موكل بإنزال المطر، وإسرافيل بنفخ الصور لموت الخلائق قاطبة، وللنشر من القبور، وعزرائيل الذي يخاف منه الإنسان، لتوكيله بقبض الأرواح، يكون للإيمان به ثمرة، وهو حفظ الإنسان من العبث والضياع والفناء قبل مجيء الأجل الحتمي.

وللإيمان بالملائكة الموكلين بتسجيل أعمال الإنسان بأمانة فائدة مهمة جداً هي حفظ أعمال الإنسان من الضياع[27]، فهو المحقق لدخول الجنة بأمر الله، وهم الذين يصورون أعمال الإنسان في مناظر خالدة. حتى إن وجود ملائكة الشمال مفيد أيضاً، لإثبات ظاهرة العدل بين الناس قاطبة.

ك - تدوين أفعال الإنسان:

إن الصانع الجليل العادل يدوّن أعمال الإنسان صغيرها وكبيرها ولا يضيع منها ذرة واحدة، كما قال سبحانه: {**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا**

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء:47]. وهذا ما أدركه النُوْرْسي بدقة قائلاً: (وهل يمكن لهذا الحاكم الحكيم، العليم الرحيم، ألا يسجل أعمال الإنسان التي تتعلق بالكائنات؟ وهل يمكن ألاّ يدوّن أفعاله للثواب والعقاب، ولا يكتب سيئاته وحسناته في ألواح القدر؟ حاشا لله وكلا بعدد حروف ما كتب في اللوح المحفوظ المقدر[28].

➢ تكريم الإنسان وتسخير الكون له:

كرّم الله الإنسان أيما تكريم، وجعله أكرم مخلوق، وأفضل كائن حي، وزوَّده بطاقات هائلة لبناء حياته، وخلقه في أحسن تقويم، وسخرّ له جميع ما في السموات والأرض، من أجل عيش كريم، وحياة سعيدة، وهذا ما دلت عليه النصوص القرآنية الكثيرة، مثل قوله تعالى: {**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}** [الإسراء:70]. وقال سبحانه: **{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}** [التين:4] وقال عز وجل في تسخير المواد الكونية والذخائر الأرضية للإنسان: {**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**} [لقمان:20]. {**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**} [الجاثية:13]، {**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا**} [البقرة:29] أي جعل جميع ذخائر الأرض وثرواتها من معادن وقدرة على الإنبات وغيرها مختصة بكم على جهة الانتفاع والاستثمار والاستنباط.

وردد النُوْرْسي رحمه الله هذه المعاني القرآنية كلها في رسائله، فقال عن كون الإنسان أفضل مخلوق: (فما دام الأمر هكذا، فإن دعاءً للسعادة الأخروية والبقاء والخلود – وهو أفضل دعاء وأعمه، ويمس جميع الكائنات ويرتبط بجميع الأسماء الحسنى، وبجميع الصفات الجليلة – هذا الدعاء يسأله أفضل مخلوق – وهو الإنسان – ويضمه ضمن أدعيته أعظم عبد وأحبه إلى الله، ذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم)[29].

وقال عن كون الإنسان مخلوقاً كاملاً في خلقه وتكوينه وجماله: (لأن كل ذي شعور يعلم أن الله سبحانه قد خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، وربّاه أحسن تربيه، وزوّده من الأجهزة والأعضاء –كالعقل والقلب – ما يتطلع به إلى السعادة الأبدية ويسوقه نحوها...)[30].

وقال عن ادخار خيرات الأرض للإنسان: (وما دام لابن آدم – الذي له هذه الماهية والمزايا خلقةً وطبعاً، وله حاجات لا تُحدّ مع ضعفه الشديد، وآلام لا تُعدّ مع عجزه الكامل – ربٌ قدير، له من القدرة والرأفة المطلقة ما يجعل هذه الأرض الهائلة العظيمة

مخزناً عظيماً لأنواع المعادن التي يحتاجها الإنسان، ومستودعاً لأنواع الأطعمة الضرورية له، وحانوتاً للأموال المختلفة التي يرغبها، وأنه سبحانه ينظر إليه بعين العناية والرأفة، ويربيه، ويزوده بما يريد)[31].

وحول أهمية الإنسان عبرَّ النُوْرْسي بتعبير موجز عن مدى تلك الأهمية، فقال: (وهكذا فقد منح سبحانه جامعية من جهات كثيرة جداً، ووهب له من الاستعداد ما يجعله مرآة كاملة لأحديته وصمدانيته، ويمكّنه من أن يلبي بعبودية كلية واسعة، ربوبيةً كلية مقدسة)[32]. وقال أيضاً: (وإن إيجاد حياض رحمة كهذه للإنسان القادم ضيفاً إلى مضيف الدُّنيا هذه، وتسخيرها لسيره وسياحته ولسفينته ولمنافعه.. يشير إلى أن الذي يكرم ضيوفه في ليلة واحدة، في دار استراحة شيدها لهم على طريق سفرهم، بهذا الكرم العظيم من هدايا البحار وعطاياها.. لابد أنه قد أحضر في مقر سلطنته الأبدية بحار رحمة أبدية واسعة، بحيث إن المشهودة منها هنا ليست إلا نماذج فانية وصغيرة أمام تلك الأبدية)[33].

- **تكليف الإنسان وإعداده المادي والمعنوي:**

كان من عظيم التكريم الإلهي للإنسان تكليفه بالتكاليف الشرعية، المعبر عنها بكلمة (الأمانة) في قوله تعالى: {**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَات وَالأرْضِ وَالْجبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْملْنَهَا وَأَشْفَقْنَ منْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**} [الأحزاب:72] لأن من المعلوم أن التكليف ومناطه العقل الإنساني والطاقة الفكرية دليل على أهمية الإنسان، واللطف به، وجعله محلاً للمسؤولية أو المساءلة عن جميع أقواله وأفعاله، فتعطيل المسؤولية وترك الإنسان من غير تكليف يدل على إهماله وعدم المبالاة به، وتركه يهيم في حياته كالحيوان في البراري.

وقد زوَّد الله تعالى الإنسان بالإضافة إلى تكوينه الجسدي المادي لتحمل مسؤولية التكاليف، مفاتيح المعرفة وأدوات العلم، وموهبة العقل وطاقة الفكر، ليميز بين الخير والشر، ويدرك حقائق الأشياء، ويعمل على ما فيه خيره، وتجنب كل ما فيه ضرره.

قال النُوْرْسي رحمه الله في رسائله: (فمثلاً العقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها، إن استعمل بسر التوحيد، فإنه يصبح مفتاحاً ثميناً بحيث يفتح الكنوز الإلهية السامية، وألوفاً من خزائن الكون، بينما إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة والكفر، فإنه يصبح آلة تعذيب ووسيلة إزعاج، بما يجمع من آلم الماضي الحزينة ومخاوف المستقبل الرهيبة).

ثم مثّل بالشفقة والحنان، وهي ألطف سجية من سجايا الإنسان وأحلاها، وبالمحبة التي هي ألذ شعور في الإنسان وأطيبه وأسماه، للدلالة على قيم الإنسان وكونه يسع الكون وله سلطان على المخلوقات كلها[34].

ثم قال مبيناً مدى الإخلال بالمسؤولية الكبرى وإهداء قيمة التكليف الإلهي بالإيمان والعبادة وأداء الحقوق وارتكاب الجناية العظمى: (إن كفر الإنسان إنما هو تجاوز – أي تجاوز – على حقوق الكائنات وأغلب المخلوقات، مما يثير غضب السماوات والأرض، ويملأ صدور العناصر حنقاً وعيظاً على الكافرين، حتى تقوم تلك العناصر بصفع أولئك الظالمين بالطوفان وغيره، بل حتى الجحيم تغضب عليهم غضباً تكاد تتفجر من شدته، كما هو صريح الآية الكريمة: {**إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ. تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ الْغَيْظِ** }[الملك:7-8].

إن الإعداد المادي والروحي للإنسان مظهر كمال، ودليل رفعة، وعلو شأن، وتهيئة للدرجات العليا في الدنيا، وفي عالم الخلود في الآخرة. ومن أخص مزايا رسائل النور للنورسي أنها تخاطب جميع لطائف الإنسان، مبينة أن القرآن (يخاطب العقل والروح والوجدان) معاً بحيث يلقي الطمأنينة في كل منها ويغذيها ويعطيها نصيبها الوافر منه بسهولة بالغة. كذلك ينبغي أن يكون تفسير القرآن أيضاً بليغاً جداً ونافذاً إلى الأعماق، بحيث ينير العقل والقلب والروح والوجدان والنفس وغيرها من اللطائف الربانية في الإنسان، مع إلزام صارم للشيطان وطرد لهمزاته، وحفظ النفس من وساوسه[35].

- **توجيه الإنسان لتحقيق الهدف من إيجاده، أو إعداده للحياة الأبدية:**

الإنسان كما يفهم من كلام النُوْرْسي وسيلة وهدف، فهو وسيلة لإعمار الكون، وهدف أو غاية، وهو أن يكون عابداً لله عز وجل، و مُعَدًّا للحياة الأبدية، أما عبادة الله عز وجل: فلأن الدنيا مزرعة الآخرة، والغاية الكبرى من وجوده وتكليفه: إنجاؤه من النار، وظفره بالخلود في جنان الخلد والنعيم، وطريق ذلك هو عبادة الله تعالى لقوله سبحانه: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون**} [الذاريات:56].

استفتح النُوْرْسي رحمه الله مقدمة رسائل النور من الشعاعات بهذه الآية، ثم قال: (يفهم من أسرار هذه الآية الجليلة: أن حكمة مجيء الإنسان إلى هذه الدنيا والغاية منه، هي: معرفة خالق الكون سبحانه، والإيمان به، والقيام بعبادته، كما أن وظيفة فطرته، وفريضة ذمته، هي: معرفة الله والإيمان به، والتصديق بوجوده وبوحدانيته إذعاناً ويقيناً[36]

أي إن وظيفة الإنسان الفطرية، هي: عبادة الله وتقديسه وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الحوادث، بل كل حيوان يؤدي عبادته الخاصة به، بلسان الحال أو المقال، مسبحاً خالقه وبارئه ومعبوده، مقدساً إياه من القصور والشرك، حامداً شاكراً لأنعمه وآلائه[37].

وقال النُوْرْسي أيضاً: ولما كانت هذه الدنيا مزرعة الآخرة، فالحقائق الصغيرة التي فيها: تثمر وتتسنبل في الآخرة. وفي موضوع آخر قال: وهكذا في كل موجود مخزن، حتى أن مخزن الآخرة هو دار الدنيا، ومزرعة الجنة ومستودعها: هو عالم الإسلام، وعالم الإنسانية الحقة، الذي تنبعث منه الحسنات والحسن والأنوار[38].

وأما الإعداد للحياة فمزدوج، فهو إعداد للحياة والروابط الاجتماعية- الإنسانية في الدنيا، من أجل التعاون على ظروف الحياة وتنمية المشاعر الإنسانية، وإعداد أيضاً للحياة الأبدية وعالم الخلود في الآخرة، قال النُوْرْسي رحمه الله: (الناس يحبون خالقهم محبة خالصة بفطرهم، وخالقهم يحبهم ويحبب نفسه إليهم بكل وسيلة، واستعداد الإنسان وأجهزته المعنوية تتطلع إلى عالم آخر باق، وإلى حياة أخرى أبدية، وإن قلبه وشعوره ليطلبان البقاء، ويتوقان إليه، وإن لسانه ليتوسل إلى خالقه بأدعية غير محدودة طالباً البقاء)[39]. وفي تعليقه على آية: {**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**} [آل عمران:173]. قال: نعم، حسبي من بقاء الدنيا وما فيها: بقاء مالكها وصانعها وفاطرها. حسبي من بقائي: أن الله هو إلهي الباقي، وخالقي الباقي، وموجدي الباقي، و فاطري الباقي، ومالكي الباقي، وشاهدي الباقي، ومعبودي الباقي، وباعثي الباقي [40].

وفي موضع آخر قال: (ومن هنا غدا الإنسان متمكناً من العمل للحياة الأبدية، وهو ينظر إلى فناء الدنيا، ويعمل في الوقت نفسه لعمارة الدنيا، وكأنه يعيش أبداً[41].

وفي مقالة أخرى يدمج النُوْرْسي بين الحياتين الدنيوية الاجتماعية، والأخروية، فيقول: (كما أن الإنسان – خلافاً للحيوان – ذو علاقة مع بيته، فهو أيضاً ذو ارتباط وثيق في الدنيا، ومثلما أنه مرتبط بأقاربه بروابط ووشائج، فهو كذلك ذو نسب فطري بالجنس البشري. وكما أنه يحب البقاء في الدنيا الفانية، فهو يتوق إلى بقائه في الدار الباقية. وما دام جميع لذائذ الدنيا لا تشبع الخيال، الذي هو أحد خدام الماهية الإنسانية، فلا بد أن حقيقة الماهية الإنسانية الجامعة الشاملة جداً مرتبطة فطرةً بالخلود والبقاء)[42].

وللإيمان بالآخرة فوائد كثيرة، من أهمها الرضا بالمصيبة، والتفاعل بها، وتفويض أمر تجاوزها أو حلّها إلى الله تعالى، فهي بتقدير الله وإذنه، قال الله تعالى: {**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ**

يَسيرٌ} [الحديد:22]، وقال سبحانه: {**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [التغابن:11].

ووجود الإنسان نفسه دليل على وجود الآخرة، بما هو مضمر في النفس البشرية من الآمال والأشواق والمطالب الروحية، وقد علّق النُوْرْسي على آية لذائذ الجنة: {**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [الزخرف:71] فقال: (تبين أن أكثر ما يأنس الإنسان به من اللذائذ المادية المحسوسة – والذي يتذوق نماذجها في الدنيا – سيراها ويتذوقها بصورتها اللائقة بالجنة... وهكذا تظهر ثمرات الإيمان بالآخرة ونتائجه: أنه مثلما تدل حقيقة معدة الإنسان وحاجاتها دلالة قاطعة على وجود الأطعمة، فإن حقيقة الإنسان وكمالاته وحاجاته الفطرية وآماله الأبدية وحقائقه واستعداداته، تتطلب النتائج والفوائد المذكورة للإيمان بالآخرة، وتدل قطعاً على الآخرة، وعلى الجنة، وعلى لذائذ مادية محسوسة باقية، وتشهد على تحققها. وإن حقيقة كمالات هذا الكون أيضاً، وآياته التكوينية الحكيمة، وجميع حقائقه المرتبطة بالحقائق الإنسانية، تدل دلالة قاطعة أيضاً على وجود الآخرة وعلى تحققها، وتشهد شهادة صادقة على مجيء الحشر وانفتاح أبواب الجنة والنار[43].

- **مخاطبة جميع الناس**:

لم يقصر القرآن الكريم خطابه العقدي والتشريعي على المسلمين فقط، وإنما وجه الخطاب لجميع الناس، لأن رسالة الإسلام خالدة وعامة للجنس البشري كله، في مختلف البلاد والأزمان. والداعية النُوْرْسي إلى الإيمان بالقرآن الكريم كان منهجه أيضاً موجهاً للإنسان والإنسانية، دون تمييز بين أحد في الجنس والعنصر واللون واللغة. قال في مقدمة الخطبة الشامية المشهورة:

(إن رسائل النور التي هي تفسير حقيقي للقرآن–وذلك بسر إعجازه–إذ تثبت كما أن في الانغماس في مهاوي الضلالة جحيماً معنوياً في هذه الدنيا، تؤكد أن في الإيمان نعيماً معنوياً في هذه الدنيا أيضا. وهي تبرهن كذلك، كما أن في المعاصي والفساد والمتع المحرمة آلاماً مبرحة روحية، فإن في عمل الحسنات والخصال الحميدة، والالتزام بالحقائق الشرعية لذائذ روحية، أشبه ما تكون بملذات الجنة، وهكذا فإنها بذلك تنقذ أهل السفاهة وأرباب الضلال من التمادي والاستمرار، مادامت لهم مُسْكة من عقل، وذلك لأن عصرنا هذا يتميز بطابعين عجيبين:

الطابع الأول: هو التعامي عن رؤية العاقبة وترجيح درهم من اللذة الماثلة على كثير من اللذات الآتية.. وما ذلك إلا بسبب طغيان المظاهر المادية على عقل الإنسان وفكره.

والسبيل الوحيد لإنقاذ أهل السفاهة من الناس من سفههم هو: إظهار الألم المبرح في تلك اللذات عينها والغالبة على حسهم.

الطابع الثاني: إن الضلال المترتب على الإلحاد والعلوم الطبيعية والتمرد المتولد عن الفكر العنادي في الماضي ليعتبران من الضآلة بحيث لا تذكر، إذا ما قيس بما عليه الوضع في وقتنا الراهن[44].

- **هل حقق الإنسان رسالته في الحياة؟**

الإنسان في الجملة حقق في تقديري رسالة الخلق والإيجاد وتعمير الكون وبناء الدنيا، بغض النظر عن الإيمان والكفر، والاستقامة والضلال، بدليل هذا التقدم الزراعي والصناعي والتجاري والتقني الذي فاق في القرن العشرين كل ما عرفه التاريخ الإنساني من ألوان الابتكار أو الاختراع والإبداع. وذلك كله بتوفيق الله وإلهامه وتعليمه المكتشفين والمخترعين.

لكن بعض الناس بَتَروا رسالتهم في الحياة عن غايتها الكبرى، فقصروا عملهم على الدنيا وعلومها، وإنجاز ما يناسبها، وقطعوا صلتهم بالآخرة، كما قال الله تعالى: {**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**} [الروم:7].

وهناك بعض آخر عملوا لآخرتهم غالباً وأهملوا دنياهم، وهم فئة قليلة، لأن الله تعالى أراد العمل للدنيا والعمل للآخرة معاً.

والفئة الثالثة وفقوا لتحقيق المقصود من الخلق، فنجحوا في مهام الدنيا، ولم ينسوا تعمير الآخرة بالتقوى والعمل الصالح.

وهذا التصنيف الثلاثي أرشد إليه القرآن مخبراً عنهم، فقال الله تعالى: {**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**} [فاطر:32].

وأمام هذا التصنيف لا بد من جهود المصلحين، لإصلاح المنحرفين وتقويم المقصرين، وترغيب العاملين، أمثال النُوْرْسي رحمه الله وأمثاله من الدعاة المخلصين إلى الله تعالى، ومنهج النُوْرْسي في الإصلاح هو الربط الدائم بين الآيات الكونية في طبيعة الإنسان الجسيمة والروحية، وبين الدلالات العقدية لتلك الآيات، قال مشفقاً على بعض الناس وهم البائسون الضعفاء العاجزون:

(لقد كنت أتألم لحال ذوي الحياة، ولا سيما لذوي الشعور منها، وبالأخص لحال الإنسان، وبخاصة المظلومين والمبتلين بالمصائب منهم، لما أحمل من عطف متزايد وشفقة مفرطة، فكانت أحوالهم تمس عطفي، وتثير شفقتي، وتوجع قلبي وتعصره[45]).

ومنهجه في تصفية الخصومات أو المنازعات البشرية: هو الصلح بين المتخاصمين، قال: (نعم، إن المصلحة والحقيقة في الصلح، والصلح خير، لأن الأجل واحد لا يتغير[46]). ومصدر المعرفة للإصلاح: إنما هو القرآن الكريم الذي يغترف منه جميع أهل العلم والمعرفة والخبرة، فهو الذي يرشد إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

الخلاصة

لقد انتهيت بحمد الله إلى نتيجة محكمة في خاتمة هذا البحث عن الإنسان في القرآن الكريم بمنظور رسائل النور، وهي أن عمالقة الإصلاح في العالم هم الذين يعانون في سبيل دعوتهم أشد الصعاب، فيعذبون، ويشرّدون، ويسجنون، ويقاومون على مختلف الأصعدة السياسية. وقد سجن النُوْرْسي وشرد وطرد مراراً من وطنه. والنُوْرْسي رحمه الله عانى في سبيل نشر دعوة الله تعالى في الأرض معاناة شديدة، ولعل هذه المعاناة سبيل لقدح زناد الفكر لديه، وإخلاص العمل لله رب العالمين.

وكان السجن والتعذيب مفجراً الطاقات الفكرية والدينية والإنسانية في قلب النُوْرْسي وعقله ونفسه، فظل قائماً بحملته الإصلاحية الجامعة بين المادة والروح، وعبر عن نفسيته وصبره وجهاده بتعابير صادقة وواقعية ومؤثرة تأثيراً شديداً في سامعيه. فكان حديثه سلوة، وسيرته عطره، وبيانه عذباً، ومنهاجه وضاء، حتى إني لأسميه (أمير البيان في تبيان معاني القرآن) وهو مع ذلك (أمير البيان في فهم وإدراك حقيقة فلسفة عقيدة الإسلام).

لقد تحدث النُوْرْسي عن الإنسان في القرآن حديث الروح إلى الروح، فأبان حقيقة تكوين الإنسان المادية والمعنوية أو الروحانية، وأدرك مدى كماله ورقيه، وعرف أنه أكرم مخلوق وأنه مخلوق في أحسن تقويم، وقرر بلسان العالم الكبير أن الإنسان شاهد على وجود الله تعالى، ودليل على وجود عالم الآخرة، وهو معد إعداداً مناسباً للحياة الأبدية، وأن الله يحبه وهو يحب الله، ويحب ملائكة الله، ويؤثر الخلود في الآخرة، ويحب البقاء في الدنيا، والخلود في الآخرة ويتميز بقوة حافظته، وهو أيضاً عالم مصغرٌ عن الكون، وهو وسيلة للحياة وهدف لتعمير الكون وعبادة الله، وتدوّن أعماله وأفعاله عليه، فلا يضيع منها شيئاً، وهو مكرَّم ومعزَّز، والكون كله مسخَّر لخدمته، وهو ذو أهمية ملحوظة، فلقد كوّنه الله، وأبدع خلقه في أحسن تقويم، وجعله أهلاً لتحمل المسؤولية والتكاليف، أو الأمانة، وهي تلازم الكرامة الإنسانية، ومن تكريم الله للإنسان: تسخير طاقات الكون وذخائره ومعادنه لخير هذا الإنسان، وجعله خليفة الأرض، ومظهر تجليات الأسماء الحسنى فيه، وهو ذو هدف واضح وهو العمل على عبادة الله تعالى.

الهوامش:

1 هو أعجوبة الثورة الإسلامية في تركيا بتعبير أ0د0 محمد سعيد رمضان البوطي، ولد بتاريخ 1293هـ/1876م، في قرية تابعة لقضاء خيزان في ولاية بدليس، من أبوين كرديين، ورسائل النور 130 رسالة، توفي في 25 رمضان 1379هـ.

2 انظر الشعاعات من كليات رسائل النور: ص80، 278 وما بعدها، 673، طبع شركة النسل للطباعة، الطبعة الأولى.

3 المرجع السابق: ص194 ومعني الخلافة عن اللّه في الأرض انه مأذون بالتصرف في مناحيها ومعطياتها، وليس خليفة حقيقياً.

4 المرجع السابق: ص27.

5 المرجع نفسه:ص 65 .

6 المرجع نفسه: ص60 .

7 المرجع نفسه: ص12.

8 المرجع ذاته: ص62.

9 ص215، 264، 269.

10 ص681.

11 ص264.

12 ص681.

13 أخرجه مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

14 ص 18 – 19 .

15 ص 19 .

16 ص 96 – 97 .

17 ص 273.

18 ص 277 .

19 ص 639 .

20 ص 278 – 279.

21 ص 27.

22 ص 39 .

23 ص 27، 645، 702.

24 ص 12، وانظر أيضاً 19، 23، 63، 75، 196.

25 ص 260.

26 ص273.

27 رسائل النور: ص 318 – 319.

28 المرجع السابق: ص 46، 299 .

29 ص 265، وانظر أيضاً ص194، 279، 702 .

30 ص 268، وانظر أيضاً ص 702.

31 ص 236، وانظر أيضاً ص 635، 702 .

32 ص 78 .

33 ص 55.
34 ص 19.
35 بديع الزمان سعيد النُوْرْسي–نظرة عامة عن حياته وآثاره، للأستاذ إحسان قاسم الصـــالحي: ص 151–152.
36 ص 135 .
37 ص 63 .
38 ص 289، 635.
39 ص 62.
40 ص 97.
41 ص 106.
42 ص 277، 278 .
43 ص 286 .
44 بديع الزمان سعيد النُوْرْسي، الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: ص 219–221.
45 ص 12 .
46 ص 531 .